من أدب الرحلات

# العودة إلى الأهوار

## محاولة لدراسة شخصية ساكن الأهوار العراقية

عبد العزيز لازم

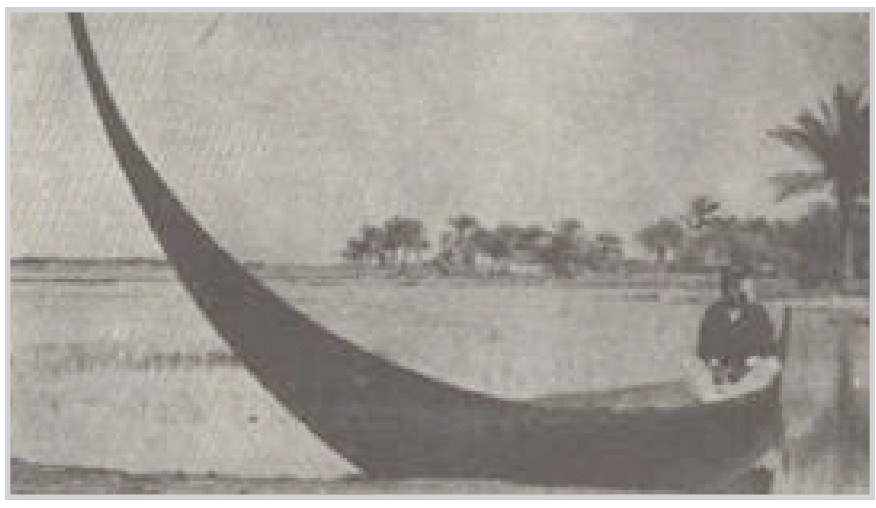

هل يحتاج المجتمع العراقي إلى عين أخرى عابرة لفهم تكويناته؟

"غافن يونغ" عين أوربية ترى إن سكان الأهوار الجنوبية في العراق هم ورثة العراقيين الأوائل الذين شيدوا الحضارات الأولى في العالم. العين تصور الجغرافية المميزة لمنطقة الاهوار باعتبارها حضنا قائما لم يفقد حيويته لحد الآن في توفير بيئة وغذاء أزليين لنشاط خلاق فتح عيون العالم على حقيقة بداياته التي تكونت في قنوات المياه ومنابت القصب جنوب وادي الرافدين.

يندر في تاريخ الرحلات الاستكشافية إن يكرس الرحالة جل حياته لمنطقة واحدة ، فالمستكشفون في العادة يندفعون بفعل واحد أو أكثر من الدوافع أبرزها الفضول العلمي والمكسب الاقتصادي أو الهداية الدينية والهيمنة السياسية.فمنذ ارتحالات الفرعون "نيكو" والقرطاجي "هانو" قبل الميلاد ومنذ جولات المتصوفة الأوائل وابن بطوطة وماركو بولو وكولومبس والأسكندر العظيم وماجيلان ووصولا إلى الكابتن جيمس كوك وهاري جون فيلبي لم تسجل شواهد على مكوث أي من هؤلاء أو مجايليهم في ارض واحدة بمعنى التعلق الوجداني بأهلها أو بتضاريسها. غير إن غافن يونغ قد تخلى عن كافة مشاريعه في ارتياد أصقاع أخرى من العالم بل انه ترك وظيفته في شركة النقل البحري في البصرة من اجل ذلك. أكثر من ذلك رأينا هذا الرجل الذي قادته الأقدار إلى عالم الأهوار والعيش بين سكانها وتشرب طبائعهم والوقوع في عشق بيئتهم الجغرافية وحياتهم قد عاد إلى تلك المجاهل بعد إن حاول وضع حد لبعثته

في عام ١٩٥٢ شجّعه رحالة آخر من مواطنيه كان قد سبقه في الولع بالحقائق الخفية في كيان المنطقة على ارتياد تجربة العيش فيها وبين أهلها وهو الرحالة الشهير (ولفريد ثيسيغر).ورغم إن بيتر يونغ قد أعجب بما توصل إليه المستكشفون الذين سبقوه من حقائق باهرة حول طبيعة المنطقة إلا انه احتفظ بحقه في الإعجاب بما قادته إليه تجربته الخاصة من مفاتن متالقة ومصادر جاذبية ذات طابع سحري لم تتوفر لغيره.

تلتقي رؤوس مثلث الاهوار العراقية عند كل من البصرة وميسان وذي قار وتتمدد أضلاعه شرقا وغربا وتنتفخ باتجاه الحدود مع إيران لتكمل كيانا جغرافيا وبيئيا واحدا مخترقة الحدود السياسية.هذه المساحة من العالم قد أثارت جدلا لم ينقطع لحد الآن بسبب حيويتها وتأثيرها في تغيير حقائق السياسة والمجتمع والتاريخ على الأرض عبر تاريخ العراق القديم والحديث. إن الطبيعة الخاصة للمنطقة وتجذر قوتها المؤثرة على الإنسان قد ساهمت في خلق سجايا إنسان خلاق ومؤثر في المحيط الذي يعيش فيه فانطلق في تكوين حضارات لم يسبقه احد إليها من قبل.حضارات مازال العالم لم يستكمل اكتشافها.ويقف غافن يونغ حائرا في وصف إنسان المنطقة وطبيعتها الجغرافية وامتداداتها التاريخية. إلا إن مجمل حصيلة كشوفاته التي توصل إليها عبر عيشه الطويل فيها وتعمقه في دراسة ظروفها قد سجلت عوامل التكوين النفسي والفكري لسكان الأهوار في ثلاثة مجالات وهي الجغرافية والتاريخ والواقع الراهن.

حين يصور يونغ الحضن الجغرافي يستفيض في وصفه بإعجاب شديد لمساحات المياه شاسعة الأمتداد، هذه المساحات التي أفرزت تكويناتها الحياتية ممثلة بغابات القصب والبردي وتجمعات الجاموس والطيور المهاجرة و الطيور المستقرة والأسماك مع حيوانات أخرى كالكلاب المنزلية والخنازير والأفاعي وكلاب الماء إضافة إلى سحابات البعوض والذباب وغيرها من الحشرات. ومن مكتشفات احد الرحالة من معاصري يونغ في مجال الحيوان في ألمنطقه إن هذا الرجل قد اكتشف نوعاً فريداً من القنادس (يسمى كلب الماء في المنطقة) لم يدون في مصنفات التاريخ الطبيعي في المتاحف البريطانية فاخذ الحيوان إلى لندن كي يتم التعامل معه باعتباره اكتشافا علميا جديدا في مجال علم الحيوان وهو الآن معروض في المتاحف البريطانية، حيث اعتبر إضافة جديدة لمعارف العلماء في هذا المجال.

لكن يونغ يتوصل إلى حقيقة إن أعظم مخلوقات هذه المياه ذات الطبيعة الخاصة هو إنسان الاهوار، باعتبار إن هذا الإنسان لا يستطيع العيش ولا العمل بله تنفس الحياة إلا في حياض هذه المياه وتكويناتها الأخرى. إن هذا الكائن حين يربي الجاموس مثلا يعيش معه في ذات المسكن فتنشا بينهما علاقة وجدانية تتعدى حاجة إنتاج الحليب ومشتقاته لتعزيز مستوى معيشته.ويورد مثلا حول ذلك حين يسمع غناء (عجرم) ذات ليلة جنب جاموسة كانت تحتضر في المنصة ليواسيها قبل أن تموت وكان يبكي من فرط الحزن. ثم يصف علاقة إنسان الأهوار بكلابه الشرسة التي أحبته وأخلصت في واجباتها دون أن تتطلب الكثير من صاحبها، وهي ذات نوع فريد لا يوجد مثيل له في العالم فهي لا تنبح فقط بل تهاجم الغرباء كي تقتلهم وتتمتع بقدرة استباقية عجيبة في تحسس الخطر، تدور ليلا حول البيوت فتشكل ترسانة امينة لها، ولا يستطيع احد إرضاءها وتهدئتها حين تحاصر الغريب إلا من تعرفه عن قرب وهو في الغالب ساكن الدار أو احد أفراد أسرته.و يسجل يونغ الاهتمام الاستثنائي الذي أبداه جميع الرحالة الأجانب الذين استكشفوا ألمنطقة بنوع آخر من الحيوانات ذات الطبيعة الخاصة وهو الخنزير ويفرد مساحة كبيرة للحديث عن هذه (القلاع ألخنزيرية باعتبارها مصدرا للخطر والرعب الذي يواجهه ساكن الأهوار.خطر يدمر مصدر العيش ويدمر الحياة نفسها.فهذه الكائنات الخطرة تمتلك هي الأخرى طبيعتها الخاصة المختلفة عن مثيلاتها في العالم، فهي لا تهاجم الزرع وتخربه فقط بل وتهاجم الإنسان نفسه ولا تهرب منه، بل إنها تنصب الكمائن للعابرين من الناس وتناور بطريقه عجيبة لتنال من فريستها وهذا ما لم يتوفر للأنواع الأخرى من الخنازير في العالم. إنها اكبر حجما من النوعين الهندي والأوربي وأكثر شراسة كما إن الرجال الأجانب الذين جابوا المنطقة ممن تبيح لهم أديانهم وتقاليدهم أكل لحم الخنزير لم يجدوا في هذه الحيوانات مصدرا صالحا للطعام وكانوا يصيدون إعدادا منها استجابة لنوازع تحدي الخطر الذي تنتجه الطبيعة ولكسب إعجاب أهل المنطقة الذين يحترمون الشجاعة ألشخصية. لكن السكان عرفوا دائما كيف يتعاملون مع هذا الخطر الجاهز المتحفز. إن هذا الإنسان الذي اعتاد العيش وسط المخاطر لم يعدم الوسائل التي ألهمته بها الضرورة والطبيعة لحماية نفسه، وإذا كان الحيوان المفترس هو احد تلك المخاطر فأن ساكن الأهوار لم يقصر جهوده في حماية نفسه على الآلة وهي هنا البندقية والفالة والخنجر والعصا الغليظة فقط، بل لجأ إلى استخدام الحيوان نفسة من أجل ذلك خاصة الكلاب الشرسة والمدربة طبيعيا على الوفاء وعلى حماية البيت الذي يطعمه والسيد الذي يتعود على صداقته.وعلى أية حال يتوصل غافن يونغ إلى حقيقة مصاحبة لكل ذلك حول ساكن الاهوار نفسه فيقول (إن عرب الأهوار شجعان في الأزمات).

إن العبارة السالفة تمثل احد مفاتيح كشف شخصية ساكن الأهوار إلا إن غافن يونغ يستهل بحثه في وصف ذلك الإنسان الذي كثيرا ما تعرض للازدراء من قبل سكان المدينة العراقية جراء اتهامه بالتخلف ومحدودية الفكر. فسكان المدينة العراقية يصفون احدهم (بالمعيدي)للتعبير عن تخلفه وبشاعة خلقته. بل إن الأدب التاريخي والاجتماعي العربي قد تضمن عبارة مشهورة مفادها: (خير لك أن تسمع عن ألمعيدي ولا تراه) للتعبير عن فكرة البشاعة في الشكل. ويورد يونغ إشارة ذات دلالة مثيرة إلى شكل السومريين فيوضح إن وجوههم كانت مستديرة وأجسامهم ممتلئة ورقابهم غليظة وعيونهم كبيرة مستديرة وبذا لا يمكن وصفهم بالوسامة (لكن في وجوههم تبدو قوة عظيمة للشخصية ومرح كثير). ثم جاء أقوام آخرون من وسط وشمال العراق إلى المنطقة وكانوا أكثر وسامة. وعن فكرة الوسامة يقدم يونغ شهادات عن رحالة أجانب آخرين يصفون أجسام الرجال المعدان بالجميلة بل إن احدهم يشبهها بالأجسام الرومانية والاغريقية المعروفة بحسن اتساقها وقوة عضلاتها. أما النساء المعيديات فأن جمال وجوههن يتضاعف حين يرتدين زينتهن رغم إنهن يشاركن الرجال بالعمل العضلي المرهق، إلا انه لم يستطع الخوض في اصل كلمة (معدان) واكتفى بالقول إن اللفظة تطلق على تلك المجاميع من العرب الذين اعتادوا العيش مع الجاموس في مياه الاهوار. ونعتقد إن اقتصار الأمر على هذا الحد يعتبر قصورا واضحا في البحث ونقطة ضعف في الكيان المعرفي الذي يتضمنه كتابه (ألعوده إلى ألاهوار). فكان يمكن له إن يبذل جهدا اكبر في متابعة الهجرات العربية المبكرة إلى المنطقة مع استعراض العلاقات التاريخية بين الأقوام التي استوطنت مناطق المياه الجنوبية خاصة وانه حاول أن يوجد علاقة بين أبناء الحضارات العراقية القديمة وسكان المنطقة (المعدان). وفي نفس الوقت حاول أن يثبت وجود امتداد اجتماعي للمعدان مع عرب الصحراء من البدو وكونهم يرتبطون بوشائج قربى معهم. إن ذلك يلقي الكثير من الغموض على أفكار المؤلف حول اصل المعدان خاصة وانه استغرق في إيراد الكثير من الشواهد من الجهة الأخرى على إن الكيان الفكري والوجداني لهؤلاء الناس قد تكون وتبلور وتجذر عبر الامتزاج الحضاري بين الأقوام القديمة التي استوطنت المنطقة من السومريين وبعدهم الأكديين والآراميين ثم دخول الإسلام الذي تغلغل في روح السكان. في هذا السياق يصف يونغ بشكل مشوق الزوارق المستعملة في المنطقة (المشاحيف)، فيوضح إن:(بقايا مشاحيف " العصر الذهبي " الغابر لسومر نجدها اليوم مصورة في مشاحيف رجال الأهوار) ثم يورد مقتطفات جميلة من ملحمة (كالكامش) التي وصفها بأنها أروع ملحمة شعرية في كل العصور تتغنى في (بيت القصب) وبناء القوارب. ولا ينسى الكاتب إن يستعرض انتشار (الأيشانات) في ألمنطقه (الايشان يعني التل أو الصخرة العالية باللغة السومرية) فهذه الأماكن التي مازالت مرتفعة عن مستوى المياه في وسط الاهوار يعتقد إنها كانت مواقع لمدن وقرى حصينة، أقيمت من قبل إنسان العراق القديم ــ السومريين والأكديين خاصة - لتكون مواقع معمارية متقدمه ذات إشعاع حضاري وثقه ألاثاريون في عصرنا (أبرزها ايشان أبو شذر وايشان واقف، وايشان عزيزة). ويقع الأخيران في منطقة السواعد، شرق العمارة .وتحت وطأة ولعه بالقوم يتساءل الكاتب بإعجاب عن كيف استطاع هؤلاء الناس إن يشيدوا حضارات عظمى في بيئة مكتظة بالصعوبات ودرجة حرارة عالية ورطوبة خانقة.

أما اليوم فيوضح الكاتب إن المعدان قد تميزوا عن غيرهم بتمسكهم بأرضهم أو أماكن سكنهم وعيشهم التقليدية، فلم تبلغ نسبة الهجرة إلى المدن بينهم درجة ذات شأن. لا يوجد من يحب بيئته ومسقط رأسه مثل ألمعيدي. ويسجل يونغ تلك الثقة العالية بالنفس التي أبداها ابن الاهوار العراقية الفقير (فالح بن جاسم) حينما سافر لوحده إلى لندن لغرض العلاج، ويصف لقاءه مع فلاحي ويلز الذي قاده إليه يونغ نفسه بعد لقائه في لندن، فيؤشر ألألفة التلقائية التي نشأت بين فلاحي أعماق ويلز ألجنوبية وبين ابن اهوار جنوب العراق الذي راح يتحدث معهم حول مواضيع الفلاحين والماشية والزراعة ويثير إعجابهم، بل راح يغني لهم أغنية من بلاده لم يفهموا كلماتها لكنهم كانوا يبتسمون بسعادة. بعدها عبر (فالح) عن رغبته في ألعودة إلى كوخه ألقصبي المحاط تماما بالمياه بعد أن عبّر عن رأيه في مدينة لندن واصفا إياها بأنها تشبه أي مدينة أخرى ولم تشكل أي جاذبية خاصة بالنسبة له.

لكننا نعثر على إحدى كشوفات غافن يونغ في مجرى محاولاته تفسير ظواهر بله كوامن الطبيعة الخاصة للإنسان وكذا الأرض.كشفا ذا طابع سياسي لم يؤكد عليه ذلك الرحالة كثيرا ظهر عبر إيراده ملاحظه كتبها مواطنه (فريزر) الذي كان سبقه في ارتياد مجاهل المنطقة وفي التعبير عن إعجابه بها وبأهلها. فبعد أن يلاحظ فريزر ادلة على كثافة سكانية وزراعة غابرة على ضفاف الرافدين ينتهي إلى القول: (ماأروع ما سيكون عليه هذا البلد تحت حكومة مستقرة حكيمة). أطلق هذا القول في عام ١٨٣٤ وليس في أعوامنا المريرة هذه.

# ثمة من يصنع الأخطاء الثقافية!

علي حسن الفواز

كيف لنا ان نصنع وطنا ثقافيا وسط العديد من المهاترات والحروب الغريبة والشكوك المريبة التي يصنعها ويخوضها البعض من المثقفين المسكونين بعقد الهيمنة وعقد الشتيمة والشعارات الهلامية للمثيولوجيا الوطنية والوطن المغسول بعصائر التيزاب؟

كيف لنا ان نواجه صناعة الأخطاء الثقافية التي باتت سلوكا وموقفا للبعض ممن خرجوا عن لباس اليسار واليمين والتقوا عند عقد الاوهام القديمة !!تخلو عن كل مرجعياتهم واصطفوا خلف متاريس الطوائف والاثنيات !!وكأن الثقافة لم تغسل أفكارهم ووجداناتهم من غبار الحروب الصغيرة؟

هذا البعض للأسف لا يملك الاّ ان يشتم ويزعق ويرمي الحجر ويشعشع الاقاويل دون أية رؤيا واضحة او برنامج واضح يمكن ان يجعل عباد الله يمشون على ارض يابسة!! ويعين صنايعية الثقافة على تأمين الشروط المادية للفاعلية الثقافية ولصناعتها وتسويقها !! باتجاه ان يرمموا فراغا !! ويسدوا ثقبا في حائط البيت العائلة !!الذي قد تتسلل منه افاعي الليل بسمومها ؟؟ او يعيدوا قراءة يوميات الكتاب والشارع والمقهى والحانة،تلك التي صنعت لنا وطنا رومانسيا نبكي كثيرا من اجله !ونكتب من اجله القصائد ونرمي الشتائم والهتافات مثلما نرمي الشهوات على اسرة الليل ،، او نلوذ اليه مثل اللصوص في الليالي الغابرة توهجا وتلذذا !!

فهل ضاع هذا الوطن الرومانسي حقا !!؟ وهل تحول الى ميثولوجيا،أو شأن يشبه الالواح القديمة كما يقول احد شعرائنا الذين اصيبوا بالخرف الشعري ؟! وهل غابت الطيبة فينا بعد ان تشوهت غواية الامكنة ،وضاعت بنا السبل ،وتاهت عنا الايديولوجيات بكل يسارها ويمينها ...

اعتقد ان ثقافة هذا الوطن الرومانسي والحاضر والموغل فينا وخارجنا ليست حكرا على أحد ، وهي ليست خاضعة لحسابات الحقل والبيدر !! او حتى مزاج اصحاب العقائد والدكاكين واصحاب الطوائف !!!

فلم نسمع يوما ان ثمة كنزا يملكه المثقفون ليغرفوا منه بياضهم ومصروف جيبهم !! ولم نسمع ان ثمة قبائل من المثقفين تذهب الى المضارب لتؤسس وطنا مكانيا ثم تطويه مثل خيمة الخلوة ؟

يبدو ان صناعة الكنوز و الاوطان في هذا السياق صناعة معقدة وعميقة ،وان العلاقة مابين الوطن والمثقف أكبر من تتحول الى قصيدة او لوح طيني او منفى يضج بالحنين ..

وازاء هذا نصاب بالحزن الشديد لان البعض من المثقفين يفلسفون كل شجونهم ،ونواياهم ،يتوهمون دائما انهم مركز العالم ،وانهم النيزك الاكبر الصانع للضجيج والضوء والاسئلة ،، الصناعة الثقافية عندهم قريبة من الدولة (الدولة كمفهوم ) و التي لم يفكروا يوما في انها في المجالات المالية ذات أجندات رجعية او تقدمية او خاضعة لمرجعيات القوى المتناحرة!!!اذ كنا معا ننظر للكائنات الحكومية على انها موظفة ليس الاّ!! وان الرعوية الاقتصادية هي جزء من حقوق المواطنة، فما الذي جرى اذن ، لنمارس هذا الطرد المجاني ؟

كلنا يعرف ان المجال الثقافي العراقي خاضع لظروف وتعقيدات معينة بدءا من عقدة السلطة التي قد يفلسف البعض علاقتها به بكل مؤثراتها وضغوطها ومحابسها على انها حاضنة الجنرال والشرطي وموظف الخدمات والوزير ورجل الامن في الشارع والمطارات او انها نظام الرقابة القسري ونظام الراتب الشهري وصولا الى عقدة المثقف ذاته وحاجاته وازماته وعقده.. وكما هو معروف فان المؤسسات الثقافية ارتبطت بتلك الرعوية الاقتصادية للحكومة (السلطة) ومنحها المادية منذ زمانات طويلة مع ملاحظة اننا لانفرق بين السلطة والدولة !!او ربما لم نحظ بفرصة حقيقية للتمييز بينهما ،،،واعتقد ان هذا ألامر في ضوء هذا الالتباس !! لاشائبة فيه ،لان الفعل الثقافي جزء من الشأن العام ،و ان البعض من عرابي الثقافة قالوا لنا ان هذا الامر جزء من حقوق المواطنة !!هذه الامور المواطنة والشأن العام تحظى برعاية الدول المتحضرة مثل فرنسا وبريطانيا مثلما هي تحظى باهتمام رعوي خاص في مصر وسوريا ،،فهل ان الحالة العراقية خارج القياس؟ وهل مطلوب من الادباء العراقيين ان يعملوا في اسواق الشورجة او يجمعوا تبرعات من تجارها ليكون عملهم حلالا خالصا !!؟ وهل ان المطلوب منهم ان يتعاطوا مع منظمات لاهوية لها !!او جهات تنتمي للحكومات الكونية لكي يحظى عملهم بالمصداقية والشرعية! ؟انه لامر عجب حقا !!اين يذهب الناس لكي يعملوا ويأكلوا وينامو ويكتبوا ويحلموا!!!

الاحتلال من امامهم والحكومات من خلفهم !!ارجو ان يجد هذا النفر من الادباء جهة ثالثة او ربما حلا ثالثا !!اعتقد ان في الامر دعوة لهم للموت او النوم والخروج نهائيا من التاريخ ،والاكتفاء بما تصنعه المطابخ الادبية في الخارج الانيق والبارد ،او العودة الى الدفاتر القديمة مثل التجار المفلسين!! ،او ربما النوم تحت ظلال زيزفون الكارزمات التي اشبعت تاريخنا الادبي تكرارا ونعاسا ووصايا حد الملل..

هذا ليس هروبا للامام كما قد يقول البعض ،لكني اظنه جزءا من البحث عن الحل ،اذ ان الثقافة وصناعة الجمال هو محاولة في خلق وعي مضاد يتجاوز عقد النوم عند حائط البنادق ، وربما هو وعي باتجاه تكريس قوة الانسان ازاء الظلم السياسي والاجتماعي ،بعيدا عن عقد الاديولوجيات التي تركت لنا وعيا خائفا مأزوما مضللا نكوصيا ،لايملك وضوحا ازاء تعدد الخيارات...

مرة اخرى نطرح السؤال بمرارة ،، من يصنع الثقافة !!؟ومن يدعم الثقافة؟ ومن يسوّق الثقافة ؟؟ هل هو البنك الدولي أم صندوق النقد الدولي ام منظمة التجارة العالمية ام الأمم المتحدة ام منظمة المؤتمر الاسلامي أم !! أم !! والقائمة تطول..

الحديث عن فعل الثقافة وسط المحنة هو جوهر صناعة المواجهة واعادة التوازن للعقل العراقي الذي اكلته الحروب مثلما أكله الاحتلاليون ، ولا أظنه شأنا نأتيه من غرف النوم الباذخة او حانات الليل او مراقص المدن الناعسة بعشاقها!! ان فعل الثقافة وسط هذا الاشتعال والمرارة والرعب والفخاخ مهنة شاقة وخاصة ،ولايحق لاحد وهو يعتاش على موائد الآخرين من الاحتلالين وغيرهم ان ينعتهم بنعوت هو اكثر الناس ارتكابا لها!!!وتورطا باخطائها المجنونة والفادحة!!

انه شأن التعبانين الحزانى الباحثين عن الحلم والحرية والامان والنوم دون سماء مفخخة !!

## امتيازات النص الأصيل

# قراءة في نصوص هاملت

أطياف رشيد

### هملت في نصوص أخرى

شاكس العديد من المخرجين والكتاب كثيرا من النصوص الأدبية العالمية متخذين منها في كثير من الأحيان بنى ومرتكزات كثيمات تتفق ورؤاهم الفكرية وتوجهاتهم الفلسفية أو الإخراجية. فهي عملية كثيراً ما يتداولها الكتاب لإظهار أفكار بعينها أو الكشف عن مهارات الكتابة /القراءة الثانية للمادة أو الموضوعة الواحدة. وان نصوصا بعينها كتبت أو أعيدت صياغتها أكثر من مرة. والتاريخ الأدبي يقرأ لنا أسماء عديدة لمؤلفين أو مخرجين أعادوا كتابة /قراءة نص ما بعناوين ورؤى مختلفة. ومن ابرز تلك المؤلفات التي خضعت لهذا النشاط الإبداعي الصعب هي نصوص شكسبير وربما هي الأوفر حظا ان جاز التعبير في تلك المشاكسة التي لم تقتصر على عصر معين أو هوية ثقافية معينة في عملية التفكيك وإعادة الصياغة لميزاتها التي اختصت بها وان لها في كل عصر من العصور تأويلا يلامس صراعاته الاجتماعية والسياسية والأفكار الفلسفية في كل مرحلة تاريخية. وهي صفة تجددية يمتلكها النص الشكسبيري في صعد شتى كثيماته ولغته الشعرية الشفافة ومدلولاتها وحركة وتطور الأحداث ومواقف الشخصيات الفكرية والنفسية. ونخص في هذه الدراسة مسرحية هاملت التي ألفها شكسبير بين عامي ١٦٠٠-١٦٠١ حيث أخذت من اهتمام الكتاب والباحثين حيزا ليس باليسير. حيث أعدت وأخرجت في أكثر من رؤية اخراجية ولمرات عديدة. وما يعنينا هنا كتابة هاملت والتصور الجديد للنص. وقد يبدو للوهلة الأولى أن ما يرمي أليه عنوان الدراسة(امتيازات النص الأصيل)هو امتياز نصوص شكسبير لأصالتها وهي كذلك بالتأكيد ولكن إن كل كتابة تمتلك خصائص النجاح وعناصر المتانة والقوة والحبكة الجيدة والرؤية الفكرية والموضوعية وتتوافر فيها العناصر الجمالية والفضاء اللغوي المعبر تعد كتابة أصيلة. إن السؤال الذي يبدو ملحا في هذه النقطة وفي أثناء قراءتنا للنص (الهاملتي)الجديد هل إننا نتلمس وقائع جديدة على أساس أنها بنيات استمدت متانتها وتشكلها وتفاعل عناصرها من النص المسرحي الشكسبيري الأصلي ؟ أم إن النص الجديد امتلك خصائص أصالته وفق بناء وتفاعل متماسكين ورؤية جادة جديدة ؟هل إن هم المؤلف إيجاد متوازيات رمزية وفكرية بين نصه والنص الأصلي ليكشف عن معطيات عصره فضلا عن إدخال الأثر الأصلي في جدل وخرق معا والاعتماد على بنية النص الأصلي لصياغة مادة إبداعية ؟أم تنفذ (طلاقا أبديا)معه كما يقول خزعل ألماجدي في كلمته لمسرحية هاملت بلا هاملت ؟

إن النص الأول في كل الأحوال يبقى رافدا يتم امتصاصه لإظهار رموز لها وظائف تحيل إلى فكرة المؤلف عن طريق التغيير والحذف والإضافة أو الإقصاء أو الإزاحة لوحدة ما أو مجموع وحدات أو إظهار التركيز على وحدات أخرى ؛كما فعل يوسف الصائغ عندما ركز على موضوعة الجنس في مسرحية عطيل. ومن بين كل تلك العمليات كان لعملية إقصاء الشخصية الرئيسية (البطل)من النص أثرا كبيرا في تغيير مجرى الأحداث وتطور الحالة الوجدانية والفكرية للشخصيات الأخرى وردود أفعالها.

وسوف اعتمد هذه النقطة في دراستي لنصين عن/هاملت شكسبير أولهما نص هاملت بلا هاملت لخزعل ألماجدي ونص انسوا هاملت لجواد الاسدي حيث اعتمد كل منهما شكلا مختلفا في إقصاء (البطل) هاملت من نصه.

### تطورات النص

ان غياب عنصر معين في النص المسرحي يخلق خلخلة في بنية النص يدفع بالمضامين المبطنة الى سطح النص مما يعزز دور عنصر معين أو يقصي تأثير عناصر اخرى ويوفر اجواء فكرية تتقارب او تتنافر مع النص الاصلي. ويعطي الاهمية لاجزائها المكونة لها بروابط جديدة. كما في حالة اقصاء هاملت في نص خزعل الماجدي. ان الروابط الجديدة قد اسست لمفهوم كانت تنطوي عليه هاملت شكسبير اصلا في جملة ماكانت ترمي وتشير له من مفاهيم. وهي عقاب الطبيعة/الالهة للمجرمين. حالة الاقصاء لهاملت في نص هاملت بلا هاملت كانت تعتمد اقصاء الشخصية تماما من النص /الحدث. فقد اعتمد الماجدي فعل الاقصاء هذا من اجل ان يثبت ان الطبيعة يمكنها ان تنفذ العقاب بالمجرمين والقتلة دون الاعتماد على وسيط يمكن ان يقوم بهذه المهمة. يقول الماجدي (لكني رايت ان الطبيعة بنفسها يمكن ان تتصدى للمخطئين فتنفذ بهم عقابا قاسيا ومدمرا دون الحاجة الى بطل مثل هاملت) في حين تعمد الكاتب في عنوانه الجديد هاملت بلا هاملت ان يشير الى النص الاول وان يوحي لنا اننا ازاء هاملت نعرفها كنص لكنها بدون الشخص الذي نعرف،بدون البطل هاملت. واذا كان هاملت يمثل جملة من خصائص يرى الباحثون انها تشكل نمطا اعلى للانسان والانسانية سواء بالعصر الاليزابيثي او في غيره من العصور حيث تتركز او تتكثف فيه صفات كالشفافية والقلق والحزن والحب والشك والرغبة في الانتقام قد مثل لدى الماجدي مجرد وسيلة للطبيعة لتنفذ العقوبة بالمخطئين وبالتالي فانه بالامكان اقصاؤها وايجاد بدائل عنها وانه بذلك يخلق (طلاقا ابديا) مع النص الشكسبيري (واختراقا لفلسفته ورؤيته) فاني اعتقد مع الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا من انه (بقي عن قصد او غير قصد ضمن الدائرة الشكسبيرية الاصلية ومنسجما مع المنطق الشكسبيري الذي فصله الشاعر الكبير في عدد من مسرحياته حول ملوك انكلترا) لكن الذي حدث هو تركيبه جمالية جديدة للاطار العام للحدث /الموضوع وهذه الصيغة الجمالية تجلت في تكثيف الفكرة اولا وفي دينامية حركة الشخصيات وفي تصاعد ايقاعها تبث الحس البطولي فيها وتناميه في محاولة لسد ثغرة غياب البطل الواحد.

### جواد الاسدي والنص الشكسبيري

عمد شكسبير الى وضع بطله (في صراع مع انسانيته وليس مع قوة خارجة عنه)❖فهاملت كان يصارع قوة في داخله فهو (يتحول عن الانتقام ثم فكرة الحياة والموت وبذلك يضع نفسه في موقف لافرار منه ويصبح مصيره محتوما كأنه جوال ظل طريقه في الصحراء) فيلجأ الى الالغاز الكلامية،وكأنه شارد الذهن مرة او الى الحكمة واللغة الفلسفية العميقة مرة اخرى. في عالم تتجلى فيه الحقائق خالصة امامه وحده دون غيره. لكنه غير قادر على المواجهة،مواجهة الملك القاتل،مغتصب العرش وفراش الملك المقتول. وكأن كل ألعابه الكلامية وحيله تجعله يبدو وكأنه (يتحلى بالفضائل الخطأ في الموقف المعين) وهو ما اوحى الى جواد الاسدي بصفة الضعف والاستسلام لدى هاملت اساسه شخصية هاملت القلقة ويأسه من تحقيق العدالة. في (انسوا هاملت) وعودة الى نقطة انطلاقنا في الاقصاء، نقل الصراع الداخلي لهاملت الى الاشخاص المحيطين به. فهناك عملية استبدال مواقع التأثير والفعل. كما غير من نوع التأثير، تأثير هاملت في الحدث وتاثيره في المحيطين به. فبدل ان يؤثر قلقه حول تحقيق العدالة كان الياس الخفي الذي تمظهر على يد الاسدي بلباس اللامبالاة والاستسلام هو المحرك والدافع في ثورة وتصاعد حدة مواقف المحيطين به وبالتالي تغير الاحداث وتناميها بل وديناميتها فالياس (كثيرا مايكون على اشده فاعلية وهو على اشده خفاءا). اعلن الاسدي منذ البداية في العنوان دعوته ان (انسوا هاملت)ليس لانه غير موجود في النص كشخصية كما فعل الماجدي بل لانه لم يعد فعالا في حياة النص ذات الفاعلية التي فجرها هاملت شكسبير. . فقد انتصر هاملت المسالم،الخائف الذي جلس يتفرج على المتسلطين بتهكم كبير ويتساءل (هل يستقيم العالم على حياة بلا عنف؟) فيأتي الجواب سريعا (لاابدا ان السلطة ندم ابدي) واستسلم لقصدية العدم (نموت بسكين في الظهر ام بقبلة على الشفتين ام بنومة طويلة) لافرق عنده. خلق الاسدي مجموعة من العلاقات وقام بربطها بروابط جديدة. فكل عنصر / شخصية كانت تسير حسب رؤيته التي مفادها (ان ما سياتي هو الصمت) واثبت ذلك حين وضع حفاري القبور لسان هاملت بين طيات كتابه. الخلفية الشكسبيرية حاضرة وغير حاضرة في آن. فقد احتفظ الاسدي بكل خلفيات النص الشكسبيري الشبح،حفاري القبور،جريمة كلوديوس، المسرحية داخل المسرحية واهم من ذلك العاشق البطل . غير انه ولى لايرتس الاعمى والاكثر بصيرة مهمة الفلسفي والثوري وكاشف الجريمة ومنفذ العقوبة. فلايرتس هنا هو من يقوم بدفع الحدث وتحريك القدر الساخن وقلبه رأساً على عقب. كما ازاح الغبار عن علة هاملت ومكامن الضعف فيه. لقد عرى الجميع،كلوديوس وغيرترود،الجريمة ورائحة الخيانة العفنة في لغة مستفزة وكلمات نافذة كالسهام. حتى والده الوزير لم يسلم من سهامه فقد فضح تخاذله امام الملك الجديد واستعداده لفعل أي شيء لارضائه. ربما ليرضي نوازعه الخفية في تسلق سلم السلطة من خلال اوفيليا الرقيقة الشفافة كالنورس التائه في خضم رياح تعصف بها. المسرحية كحكاية لها تفرعات عديدة وان كان الاساس متشابهاً بين الاصل والنص الجديد فيما يتعلق بالجريمة والطبيعة البشعة للاستبداد والطمع والطغيان. غير ان قطع القرميد التي بناها الاسدي كانت بالوان مختلفة واماكن مختلفة لهذا كانت قلعته متماسكة وجديدة واصيلة في ذات الوقت. ان امتيازات النص الجديد هي اصالة في استشعار جوانب خفية في الفعل والنفسية الانسانية بالاضافة الى العلاقات الكثيرة التي يمكن بناؤها على اسس فكرية تم تفجيرها لتوسع من فاعلية وطاقات تلك العلاقات.